تشكل المعنى بين الاستعارة وعلم الدلالة

علي فتح الله أحمد محمد*

ملخص البحث:

يركز هذا البحث على دراسة أثر الاستعارة وعلم الدلالة في تشكل المعنى؛ فإذا كانت الاستعارة نوع من المجاز الذي ينتمي بطبيعته إلى اللغة بكل تقسيماتها وأشكالها ومن ضمنها المعنى؛ فإن علم الدلالة هو علم دراسة المعنى، وسنتوسل لذلك من خلال تمهيد نوضح فيه مفاهيم الدلالة والمعنى والاستعارة باعتبارها نقلا، ثم نعرج على بعض إشكاليات تشكل المعنى، مثل عملية التطور الدلالي وعلاقتها بالاستعارة، ثم قضية التعدد الدلالي أو كما يحلو للبعض تسميتها بفوضى المعنى، وكيف عالجت البلاغة ذلك من خلال مفهوم القصد، ثم يعالج هذا البحث قضية أخرى تتمثل في علاقة الاستعارة بنظرية الحقول الدلالية، وكيفية تشكل المعنى المعجمي، وتشكل المصطلحات، وأثر الاستعارة في ذلك.

الكلمات المفاتيح:

استعارة – دلالة – سيمياء- معجم – الحقول الدلالية - التعدد الدلالي- التطور الدلالي- قصد – معنى.

Producing the meaning between metaphor and semantics

Abstract:

This paper aims to studying the role of metaphor and semantics in producing the meaning. The metaphor belongs to all language forms and this includes the definition as the semantics is studying the meaning. In the introduction we are going to investigates terms, the meaning, semantics and the metaphor as it is a kind of transference. Then studying the problems of meaning, such as the process of the semantic evolution and its relation to the metaphor, the semantic pluralism or as some scholars call it the mess of meaning and how it is addressed by rhetoric through intent. Finally investigate the metaphorical theory and how it forms the lexicon meaning in addition to the terms.

Key words: metaphor – semantic – meaning - semantic evolution - the lexicon - the term- Intentionality.

* كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر،قطر.

تمهيد

علم الدلالة Semantics -في أبسط مفاهيمه- هو "دراسة المعنى"[1]، ويختلف علم الدلالة عن علم السيمياء "فالسيمياء العلم الذي يدرس العلامات، علم شكلي صوري؛ بحيث إنه يعتمد على تجزئة اللغة إلى أجزائها المكونة. أما علم الدلالة، علم الجملة؛ فمعني مباشرة بمفهوم المعنى، (أي بما هو فحوى sense أو مغزى، وهو في هذه المرحلة رديف لمفهوم المعنى meaning ...؛ لأن علم الدلالة ينصرف انصرافا كليا إلى العمليات التكاملية للغة في تداخلها العضوي"[2]. لكن يظل الارتباط وثيقا بين العلمين، بحيث يصبح كل منهما مكملا للآخر، أو يمكننا اعتبار علم السيمياء جزءًا من علم الدلالة.

وقد ارتبط علم الدلالة بعلم البلاغة التقليدية في الثقافة الغربية القديمة منذ البدء؛ "فقد تعرض الفلاسفة اليونانيون من قديم الزمان في بحوثهم ومناقشتهم لموضوعات تعد من صميم علم الدلالة"[3]، ولم يصبح للجانب الدلالي كيان مستقل إلا بعد أن نشر اللغوي الفرنسي ميشل بريل Michel Breal مقالته "مقالة في علم الدلالة"[4] في عام 1897م، ومن هنا ظهر الاهتمام بتحديد مفهوم هذا العلم، ومدى علاقته بالعلوم الأخرى، "فعلم الدلالة -عند بريل- يُعنى بتلك القوانين التي تشرف على تغير المعاني، ويُعاين الجانب التطوري للألفاظ اللغوية ودلالاتها، ويكون بريل بذلك أول من وجه الاهتمام إلى دراسة المعاني ذاتها.

لكن أهمية التفاتة بريل إلى جوهر الكلمات لم تقدر حق قدرها قبل محاولة الإنجليزيين أوجدن (C.K.Orgdon) وريتشاردز (I.A.Richards) اللذين أحدثا ضجة في الدراسة اللغوية بإصدار كتابهما -عام 1923- تحت اسم "معنى المعنى"[5] وفيه تساءل العالمان عن ماهية المعنى من حيث هو عمل ناتج عن اتحاد وجهي الدلالة أي الدال والمدلول، وقد طور ريتشاردز فكرته وربط المعنى بالبلاغة في الكتاب التالي "فلسفة البلاغة"[6]. وأضحى علم الدلالة يهتم بالصورة المفهومية، باعتبار أن لا علاقة مباشرة بين

1-جون لاينز: علم الدلالة، ترجمة محمد عبد المجيد ماشطة وآخرين، طبع جامعة البصرة، بغداد، 1987 م، ص 9.

2- بول ريكور: نظرية التأويل –الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية 2006، ص 33-32.

3- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، الطبعة الخامسة، القاهرة 1998، ص 17.

4-عبد الكريم مجاهد: الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، الأردن، عمان 1985 م، ص 12.

5 -C.K. Ogden and I. A. Richards: The Meaning of Meaning – a study of the influence of language upon thought and of the science of symbolism، a harvest book، new York، first published 1923.

6 -I. A. Richards: The Philosophy of Rhetoric، Oxford university press 1936.

الاسم ومسماه، إنما العلاقة المباشرة تربط الدال بالمحتوى الفكري في الذهن؛ فـ "علم الدلالة يعنى بظواهر مجردة هي الصورة المفهومية "[7]؛ وكذلك السيمياء عند بروس فـ "العلامة أو الأمثول هو كل شيء يأخذ مكان شيء آخر من أجل شخص ما تحت أية علامة أو أية حجة؛ فهي توجه لشخص ما؛ أي أنها تخلق في ذهنه علامة مكافئة أو أكثر تطورا تسمى بمؤول العلامة الأولى، وهي تأخذ مكان شيء آخر يسمى موضوعها، وذلك ليس تحت أية علاقة كانت ولكن بالإحالة إلى نوع ما من الفكرة"[8]، فـ "إذا كانت الصوتيات واللغويات تدرسان البنى التعبيرية وإمكانية حدوثها في اللغة، فإن الدلاليات تدرس المعاني التي يمكن أن يعبر عنها من خلال البنى الصوتية والتركيبية"[9]، مما يتقاطع بشكل واضح ومباشر مع المجاز بشكل عام والاستعارة بشكل خاص.

وقد عقد إبراهيم أنيس فصلاً في كتابه "دلالة الألفاظ" وضح فيه أسباب تغيّر المعنى اللغوي ومظاهره، والتي شبهها بمظاهر وأعراض المرض، وحصرها في خمس مظاهر هي: تخصيص الدلالة، تعميم الدلالة، انحطاط الدلالة، رقي الدلالة، وتغيير مجال الاستعمال (المجاز)[10]. وتخصيص الدلالة، يعني تحويل الدلالة من المعنى الكلي، إلى المعنى الجزئي أو تضييق مجال استعمالها، أما تعميم الدلالة فمعناها أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق، أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل. أما رقي الدلالة وانحطاطها فيدرجه علماء الدلالة تحت مصطلح "نقل المعنى" إذ قد تتردد الكلمة بين الرقي والانحطاط في سلم الاستعمال الاجتماعي، بل قد تصعد الكلمة الواحدة إلى القمة وتهبط إلى الحضيض في وقت قصير؛ فكانت دلالة طول اليد كناية عن السخاء والكرم، وهي قيمة عليا، لكنها أضحت وصفاً للسارق؛ إذ يقال له: هو طويل اليد.

"فاستعمال اللغة يقتضي تصريفا مزدوجاً للألفاظ بين دلالة بالوضع الأول وهي الدلالة الحقيقية، ودلالة بالوضع الطارئ وهي الدلالة المجازية التي تعتبر دلالة منقولة ومحوّلة؛ فكلمات اللغة في وظيفتها الدلالية متعددة الأبعاد تبعاً لموقعها من البنى التركيبية، ومن وراء ذلك الموقع موقف يتخذه المتكلم من أدواته التعبيرية، وهو ما يجعل رصيد اللغة لا متناهياً في دلالته بحكم حركة المد والجزر الواقعة بين حقولها المعنوية طبقاً

7- سالم شاكر: مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة محمد يحياتن، الجزائر سنة 1992، ص 4.

8- عبد القادر فهيم الشيباني: معالم السيميائيات العامة أسسها ومفاهيمها، سيدي بلعباس الجزائر، الطبعة الأولى 2008، ص 84.

9- بيير جيرو: علم الدلالة، ترجمة منذر عياشي، دار طلاس، دمشق 1988م، ص72

10- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة 1984، ص152-167.

لما تستوعبه الدوال"[11]، لأن معنى اللفظة لا يتضمن مجرد الموضوع الذي يقابلها بل يشمل أيضاً جميع الارتباطات التي تبعثها اللفظة في أذهاننا؛ "فالكلام إما أن يساق ليدل على تمام معناه، وإما أن يساق ليدل على بعض معناه، وإما أن يساق ليدل على معنى آخر خارج عن معناه إلا أنه لازم له عقلا أو عرفا"[12]، وفي هذا الجزء الأخير تقع الاستعارة حيث نجد عملية اللزوم العقلي والعرفي، يشرح بيار جيرو ذلك بقوله: "يتغير المعنى لأننا نعطي اسماً عن عمد لمفهوم ما من أجل غايات إدراكية أو تعبيرية، إننا نسمي الأشياء ويتغير المعنى لأن إحدى المشتركات الثانوية (معنى سياقي، قيمة تعبيرية، قيمة اجتماعية) تنزلق تدريجيًا إلى المعنى الأساسي وتحل محله فيتطور المعنى"[13].

إن العلاقة التي تربط الدلالة الحقيقية بالدلالة المجازية، لا تخرج عن تلك الأنساق الدلالية العامة التي تربط الدال بمدلوله، فالبحث في دلالة المجاز هو بحث في معنى المعنى. وإذا كانت بين الدلالة الأصلية والدلالة المجازية علاقة تشابه وهي ما تفيده "الاستعارة"، إذ تشير هذه الصورة البيانية إلى اشتراك في صفة أو أكثر بين مدلول أول ومدلول ثان؛ فعلاقة المدلول الأول بالصفة أو الصفات التي تجمعه بالمدلول الثاني هي علاقة تضمن، أما علاقة الصفة ذاتها أو الصفات بالمدلول الثاني فهي علاقة التزام، ومثال ذلك قولنا: "رأيت أسدًا في المعركة "فعلاقة الأسد" "بالشجاعة" -وهي الدلالة المرادة- هي علاقة تضمن من جهة، وهي علاقة التزام من جهة أخرى إذ اعتبرت الشجاعة أحد المقومات الأساسية "للأسد" أما علاقة "الشجاعة بالرجل المشبه بالأسد فهي علاقة التزام أيضاً، باعتبار "الشجاعة" ليست صفة ثابتة في الرجل ومقومًا أساسيًا له إنما هي صفة عرضية. ويشرح عادل الفاخوري علاقة الدلالة المجازية بالدلالة الحقيقية فيقول: "بما أن مدلول الألفاظ عامة يؤلف مجموعة من الصفات من حيث المفهوم أو مجموعة من الأجزاء من جهة كونه أمراً خارجياً، كان من البديهي لتعيين العلاقة بين المدلول الأصلي والمدلول المجازي أن ينطلق علم البيان من النسب القائمة بين أية مجموعتين من الصفات أو من الأجزاء"[14].

11- عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986، ص96.

12 - عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم للطباعة والنشر، 1993، ص27

13- بيير جيرو: علم الدلالة، ترجمة منذر عياشي، ص99.

14– عادل فاخوري: علم الدلالة عند العرب دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، دار الطليعة - بيروت الطبعة الأولى 1994، ص53.

لا شك أن الدراسات التي تناولت الاستعارة أو علم الدلالة في الكتابات العربية والغربية كثيرة ولا حصر لها، وتنتمي لمشارب عدة، منها القديم قدم فن الخطابة لأرسطو مرورا بالكتابات الرومانية والعربية وصولا للكتابات المعاصرة، لكن تلك الدراسات التي اعتمدت على الربط بين علم الدلالة والاستعارة واستكناه العلاقة بينهما تتطور باستمرار؛ فهناك أعمال جادة مثل كتاب "المعنى في البلاغة العربية" للدكتور حسن طبل؛ فهو دراسة معمقة لتطور المعنى في الفكر البلاغي عند العرب، ويعتبر كتاب فلسفة البلاغة و كتاب معنى المعنى لريتشاردز من أهم ما كتب في هذا الموضوع؛ فقد اهتم فيهما بشكل كبير بعلاقة المعنى بالاستعارة، وتوالت الكتابات بعد ذلك، ويعتبر كتاب لايكوف وجنسون "استعارات نحيا بها" من أهم الكتب التي ربطت الاستعارة بمفهوم الحياة اليومية من ناحية وبالتطور الدلالي من ناحية أخرى.

*** الاستعارة والتطور الدلالي (تغير المعنى).**

إن من أهم الجوانب اللغوية التي تتجلى فيها مظاهر التطور اللغوي، ما يطرأ على الدلالة سواء أكانت دلالة لفظية أم تركيبية من تغير لعوامل تاريخية أو اجتماعية، وتمثل الاستعارة أحد أخصب الجوانب التي يتجلى من خلالها التطور اللغوي، وهذا ما سنركز عليه هنا من خلال دراسة التأثير الزمني والاجتماعي على الاستعارة، وتبعا لذلك التغيرات الدلالية التي تنتج عن تطور الاستعارة، ثم يأتي أحد الجوانب الناتجة عن هذا التطور الذي يصيب الاستعارة وهو تعدد المعنى والدلالة، لكن التعدد دون ضابط ربما يوقعنا في هوة اللا معنى ولذلك وجب العرض لمفهوم القصدية الذي مثل الضابط لتعدد المعنى ولعمل الاستعارة، وهذان المحوران هما مناط الحديث قبل الولوج لعلاقة الاستعارة بالحقول الدلالية وبنية المعجم.

- الاستعارة والدلالة والزمن:

"إن التحول من الدراسة التزامنية إلى الدراسة التطورية التاريخية للدلالة يعطينا عمقا في رؤية الاستعارة؛ "فإن للاستعارة تاريخا ما دام وضعها يتغير وتنتقل من استعارة حية إلى استعارة ميته جامده"[(15)]، فعوامل الزمن لها تأثير واضح على الأبعاد الدلالية للاستعارة واستعمالاتها، مثل الاستعارات المندثرة *Dead metaphors*، أو الجامدة *Frozen metaphors*، ويعتبر مفهوم ابتذال الاستعارة *Cliché metaphors* من أقدم المفاهيم التي انتبه لها الفكر البلاغي؛ فقد تحدث عنه عبد القاهر ، وفيها –أي الاستعارة المبتذلة- يُهمل المعنى الأصلي للملفوظ ليكون المعنى المجازي الاستعاري هو الملفوظ؛ فهي تلك الاستعارة التي استخدمها الناس لفترة طويلة من الزمن بحيث أصبحت شائعة، مما

15- جان جاك لوسركل: عنف اللغة، ترجمة محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى 2005م، ص 271-272.

أدى إلى أننا لا نشعر فيها بالفرق بين الموضوع والصورة؛ أي أنه من غير المتوقع أن يشعر الكاتب أو القارئ بوجود أي صورة استعارية؛ لأن هذه الصورة قد اختفت نتيجة الاستخدام المتكرر، وهذا ما يطلق عليه في علم الدلالة استبدال المعنى، وقد نبه عبد القاهر الجرجاني إلى هذا الملمح بقوله: "اعلم أن من شأن هذه الأجناس أن تجرى فيها الفضيلة، وأن تتفاوت التفاوت الشديد، أفلا ترى أنك تجد في الاستعارة العامي المُبتذَل كقولنا: رأيت أسداً، ووردت بحراً، ولقيت بدراً، والخاص النادر الذى لا تجده إلا في كلام الفحول ولا يقوى عليه إلا أفراد الرجال"، والابتذال هنا إنما هو معنى من معانى موت الاستعارة، التي وصلت إلى حد لا يجدى معه أنها اتسمت بالجدة والطرافة يومًا ما، كما لا تجدى معه المعايير العامة التي جاءت في بعض كتب البلاغة عن جودتها؛ فالاستعارات المبتذلة هي "تلك الاستعارات التي عمرت وقتا أطول، والتي تستعمل كبدائل لأفكار واضحة على نحو عاطفي على الأغلب، ولكن دونما تجانس مع حقائق الأمور، ويدخل ضمن هذا النوع الاستعارات الجاهزة التي ربما انتقلت من بُعدها الفني لتصبح أشكالا ثابتة للتعبير عن بعض الحالات.

وهناك أيضا تأثيرات إيجابية للتطور الدلالي على عملية الاستعارة إذ نجد الاستعارات النشطة Active metaphors، أو الحية Live metaphors، والاستعارة التي تكون مستحدثة في بعض الأحيان أو يعاد إحياؤها بعد أن ماتت منذ زمن ويتم استعادتها مرة أخرى، وهذا يسلمنا لمناقشة عملية التوليد الاستعاري أو الاستعارة المستحدثة، مثل قولنا "حوار ساخن" أو "نقاش حاد" وهي إعادة إنتاج ل "حمي الوطيس"، ومن الاستعارات المستحدثة " الانفجار السكاني" و "جنون الأسعار"، فهذه الاستعارات تم استحداثها نتيجة التطورات التي لحقت بالحياة اليومية وإنتاجها لدلالات جديدة تستوجب تعبيرات لها، وهنا جاءت الاستعارة لتقدم هذه التعبيرات المستحدثة.

- الاستعارة والتعدد الدلالي:

نناقش هنا قضية مستويات الدلالة وتأثيرها على عملية بناء الاستعارة وتفسيرها من خلال مناقشة قضية المعنى الأول والمعاني الثانوية؛ أو ما أطلق عليه عبد القاهر المعنى ومعنى المعنى، فمع بدء نمو الدراسات اللغوية في التراث العربي ظهرت إشكالية تعدد المعاني والدلالات، وقد ارتبطت مثل باقي الظواهر اللغوية بالنص القرآني، ونجد أصداء هذه الإشكالية في كتاب الوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان المتوفى 150 هجرية، الذي رصد فيه بعض الألفاظ والوجوه المختلفة لمعانيها والمرتبطة بالسياق؛ فمعنى "الوجوه والنظائر: أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد

بكل مكان معنى غير الآخر"[16]، وكتاب مقاتل بن سليمان هو أول كتاب أُلف في العربية في هذا الباب ولا نعرف كتابا قبله.

ولكن إذا كان للكلمة معنى بل أكثر من معنى " فكيف نعجز عن قول ما نعنيه، أو بالأحرى كيف يمكن أن تعجز الكلمات عن أن تعني ما تعني؟ والإجابة عن هذا بالطبع أننا نرغب في زعم أن الكلمات لا تعني ما قد يعتقد –على نحو واضح – أنها تعنيه، وأن هناك معنى أخر إلى جانب المعنى الحرفي للكلمات"[17]، وذلك يعني أن ثمة معاني أخرى تتعدى المعنى الحرفي هي سبب الاضطراب في توصيل المعنى المراد. وقد تحدث العرب كثيرا في موروثهم البلاغي عن تعدد المعنى ودرجاته ومن ذلك ما تحدث عنه التفتازاني في المطول عن "المعاني الأول" و "المعاني الثواني" ومن قبله عبد القاهر، مما يؤثر في عمليات التلقي والتفسير.

- **مفهوم القصدية**

بعد أن عرضنا لقضية الفوضى في تأويل المعنى الناتجة عن التعدد الدلالي هنا سنعالج عمليات تحديد المعنى، ولذلك فلابد لنا عند الحديث عن عملية تفسير الاستعارة والتعدد الدلالي من الحديث عن مفهوم "Intentionality" أو ما يطلق عليه بعض العلماء العرب "المراد أو القصد" كما تحدث عنه القاضي عبد الجبار وغيره، ومقارنته بمثيلاته عند سيرل وبيرس وموريس وغيرهم. وهو عنصر دلالي مهم يلزم أخذه بعين الاعتبار في عمليات تفسير المعنى وتأويله. وربما تتلاقى فكرة الاستدعاء التي قال بها سيرل بفكرة التتبع البلاغي للارتباطات الخفية التي قال بها أمبرتو إكو في تحليل الاستعارة، إذ يذهب إلى أن الاستعارة تقوم على استبدال بلاغي عن طريق الانتقاءات السياقية والمقامية التي تتغير باستمرار، وتُحمَّل بالمزيد من المعاني، وإن الدورات الدلالية الصغيرة بكافة أنواعها تخلق علاقات مفاجئة وغير متوقعة؛ ولذلك فإن العملية البلاغية يثبت أنها شكل من أشكال المعرفة، أو على الأقل طريقة لتنظيم المعرفة المكتسبة، ومن هنا تتعدد مستويات المعنى في الاستعارة، ويفسر ذلك تعريف عبد القاهر للاستعارة في قوله: "اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم؛ فيكون هناك كالعارية"[18].

16- مقاتل بن سليمان البلخي: الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، تحقيق حاتم صالح الضامن، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، الطبعة الأولى 2006، ص 7.

17- ف. ر. بالمر: علم الدلالة إطار جديد، ترجمة صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1995، ص 14.

18- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، 1991، ص 30.

وعملية النقل هذه التي يحدثنا عنها عبد القاهر التي ينتج عنها تغير الدلالة يشرحها ريتشاردز في كتابه فلسفة البلاغة بقوله "ومن الأهمية بالنسبة لنا أكثر من أي شيء أخر أنه مع اللغة ومن خلالها نتعلم اللغة التي لا تستطيع ان تساعدنا بشكل فعال إلا من خلال الاستعارة، فالاستعارة هي شيء استثنائي وخاص في استخدامنا للغة إنها انحراف عن النموذج المعياري لعمل اللغة"[19]، رابطا إياها بالسياق قائلا: "معظم الكلمات تغير معانيها عندما تنتقل من سياق إلى أخر وبطرق *عديدة* ومختلفة"[20]، وهذا على وجه التحديد ما تحدث عنه عبد القاهر معبرا عن أهمية السياق وعبث المعنى للكلمة المفردة بقوله: "ليت شعري، كيف يتصور وقوع قصد منك إلى معنى كلمة من دون أن تريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى؟ ومعنى "القصد إلى معاني الكلم" أن تعلم السامع بها شيئا لا يعلمه. ومعلوم أنك، أيها المتكلم، لست تقصد أن تعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلمه بها"[21]، مما يعني أن المعنى هو نتاج الترابط الحاصل للكلمات في سياقاتها المختلفة، وهذا ما ينطبق على الاستعارة أيضا بوصفها جنسا من الكلم، بل إن ريتشاردز يجعله المبدأ الأساس إذ "نستطيع أن نقول إن المبدأ الأساسي للاستعارة يعني أننا عندما نستخدم الاستعارة فإن لدينا فكرتين لأشياء متباعدة ومتفاعلة معًا بدعم من كلمة أو جملة واحدة نتج عنها هذا التفاعل."[22].

ولمبدأ القصد أهمية بالغة سواء في دراسة الاستعارة أو دراسة المعنى بشكل عام، لأن مبدأ القصد هو الذي يمنع النزف الدلالي والدخول في دائرة لا متناهية من التفسيرات الدلالية بما يضيع معه المعنى في النهاية؛ فينتج الإبهام الدلالي الذي تحدث عنه فتنجنشتين حيث لا يمكننا تحديد تصور يمثل مبدأ للتفسير حيث تغيب العناصر المشتركة.

- **بنية الاستعارة ونظرية الحقول الدلالية.**

تمثل الاستعارة لدى بعض الدارسين كما اتضح عملية نقل أو استبدال لمفهوم من موضع لموضع آخر، ولكنا نلاحظ أن هناك شروطا لهذا النقل تتعلق بالحقل الدلالي الذي تحدث منه عملية النقل وإليه، ولذلك وجب الحديث عن علاقة الاستعارة بالحقول الدلالية؛ فالاستعارة كما يعرفها الدكتور سعد مصلوح "هي اختيار معجمي تقترن بمقتضاه كلمتان في مركب لفظي Collocation اقترانا دلاليا ينطوي على تعارض –أو عدم انسجام- منطقي، ويتولد عنه بالضرورة مفارقة دلاليةSemantic deviance تثير لدى المتلقي

19 -I. A. Richards: the philosophy of rhetoric، p90.

20 - I. A. Richards: the philosophy of rhetoric, p91

21- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، الطبعة الثالثة 1413هـ - 1992م، ص412.

22 - I. A. Richards: the philosophy of rhetoric، p93.

شعورًا بالدهشة والطرافة، وتكمن علة الدهشة والطرافة فيما تحدثه المفارقة الدلالية من مفاجأة للمتلقي بمخالفتها الاختيار المنطقي المتوقع."[23]، فالاستعارة تنطوي على اختزال للصدمة المتولدة عن فكرتين متناقضتين، إذا ففي اختزال هذه الفجوة أو المسافة تلعب المشابهة الدور المنوط بها.

ما يراهن عليه التعبير الاستعاري بعبارة أخرى، هو إظهار قرابة ما، حيث لا ترى النظرة الاعتيادية أية علاقة، هنا يكون عمل الاستعارة قريبا مما يطلق عليه غلبرت رايل "غلطا في التصنيف". وهو خطأ محسوب، في آخر الأمر، يجمع بين أشياء متفرقة لا تجتمع"[24]، هذا الغلط في التصنيف على حد تعبير غلبرت رايل نتاج تباعد الحقول الدلالية وعدم وجود ربط مباشر بين عنصري الاستعارة بسبب انتماء كل منهما لحقل دلالي مختلف تماما عن الآخر؛ فالاستعارة تربط مجالين مختلفين ظاهريا من خلال عثورها على خيط خفي رابط بينهما؛ فكما يقول لايكوف "إن الاستعارة تتضمن فهم مجال ما من الخبرة، وهو الحب، وفقا لمجال مختلف جدا من الخبرة وهو الرحلات، بشكل أكثر تخصيصا، يمكن فهم الاستعارة بوصفها ترسيما Mapping (بالمعنى الرياضي) من مجال الانطلاق (a source domain) في هذه الحالة هو الرحلات، إلى مجال وصول (a target domain) وهو في هذه الحالة الحب"[25].

ولا يخفى الارتباط الشديد بين تصنيفات الاستعارة وأنواعها وبين الحقول الدلالية ومجالات الكلمة، فالأصل في أنواع الاستعارة البناء على حقلين كبيرين هما المعقول والمحسوس[26]، وهو التصنيف الثنائي لدلالة الموجودات؛ فأي موجود هو موجود حسا وملموس بالحواس، أو متخيل عقلا ولا يتميز بالحواس، وداخل هذين الحقلين تتفرع الاستعارة لحقول دلالية أخرى بحسب العلاقة أو الغرض، ولنأخذ على سبيل المثال الاستعارة التجسيمية reification و "تحصل باقتران كلمة تشير دلالتها إلى جماد concrete بأخرى تشير دلالتها إلى مجرد abstract"[27]، ويجب هنا أن نشير إلى أن هناك درجات للحقول الدلالية تطابق تقريبا مع أنواع الاستعارة وتصنيفها.

23- سعد مصلوح: في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية، عين للدراسات والبحوث الطبعة الأولى 1993، ص187

24- بول ريكور: نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية 2006، ص 91-92.

25- جورج ليكوف: النظرية المعاصرة للاستعارة، ترجمة طارق النعمان، مكتبة الإسكندرية ٢٠١٤

26- السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيقي نعيم زرزور، نشر دار الكتب العلمية، لبنان عام 1987م، ص388.

27- سعد مصلوح: في النص الأدبي دراسة أسلوبية، ص 188.

"من هنا تبدو الاستعارة وكأنها طعنة انتقامية خاطفة تسدد إلى تنافر من نوع ما في القول الاستعاري المؤول حرفيا، ونستطيع أن نتابع جان كوهين في تسميته هذا التنافر ب "المنافرة الدلالية" أو إذا شئنا استعمال تعبير أكثر ليونة وشمولا فيمكننا تسميته ب "التناقض" أو "المجفاة" وهما تعبيران استعملهما ماكس بلاك ومونرو بيردسلي"[28].

- الاستعارة والمعجم.

يرى سيرل أن الاستعارة نوعا من الاختلال المعجمي ومكون رئيس للمعجم في نفس الوقت؛ لأن "الاستعارات المبتدعة تتحول بالتكرار إلى استعارات ميتة. وفي مثل هذه الأحوال يتحول المعنى الممتد إلى جزء لا يتجزأ من مادة المعجم، تسهم في تعدد معاني الألفاظ المعنية التي تتضاعف معانيها اليومية بالنتيجة."[29]، ولا تقصر أهمية الاستعارة على بنية المعاجم العامة فقط بل تمتد لتصل للمعاجم المتخصصة، فإذا كان البعض يعتبر أن المجاز لازم للغة الأدب ولا علاقة له باللغة العلمية؛ فهي –أي لغة العلم- لغة جافة لا تميل إلى المجاز، فالحقيقة أن المجاز بشكل عام والاستعارة بشكل خاص من أهم وأنجع الأساليب في كل المجالات بما فيها المجالات العلمية خاصة التوليد المصطلحي، ولذلك سنحاول في هنا الكشف عن دور المجاز والاستعارة في التوليد الدلالي للمصطلحات العلمية، وكيف يتم استخدام المجاز في تكوين وصياغة المصطلح العلمي، ولتوضيح هذه القضية يجب علينا اختيار مجالا علميًا دقيقًا والكشف عن دور المجاز في تكوين مصطلحات هذا المجال، وليكن مجال المعلوماتية مناطًا للدراسة والتطبيق بكل مجالاته الفرعية، فهو من المجالات العلمية التي تبدو بعيدة تماما عن لغة المجاز وأقرب للعملية والتجريد، كما أنه من المجالات الحديثة التي شهدت نموًا سريعًا مما يكشف عن دور المجاز والاستعارة في الاستعمال الحديث للغة.

وعند إمعان النظر في مجالين رئيسيين هما الحاسوب والإنترنت، نجد أن المجاز المستخدم فيهما يجعلهما يتصفان بصفات تمثل التحوّل من الحقيقي إلى المجازي، إذ يصبح الحاسوب كائناً بشرياً لأن المفردات المستخدمة للتعامل معه هي في أساسها مفردات نستخدمها للتعامل والإشارة إلى الإنسان. وبذا يقال بسهولة أن الحاسوب يعمل بـ "بروتوكول" ويصاب بـ "فيروس" فنضعه في "الحَجْر". ويشار إلى سلوك الحاسوب بصفة افتراضية، على أنه "مضيف وضيف وعميل وزبون ووكيل". ويشار إلى الحاسوب بوصفه ورشة عمل عبر مصطلحات "صندوق الأدوات وتركيب وتنصيب وتحميل" وغيرها. وكذلك يُنظر إلى الحاسوب بوصفه مكتباً عبر استعمال مصطلحات "ملف ومجلد ومُرفَق

28- بول ريكور: نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية 2006، ص 91.

29- بول ريكور: نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، ص93.

وقصاصة وصندوق الوارد وإدارة الملفات" وغيرها. كما يظهر الحاسوب على هيئة مبنى، عبر مصطلحات "تسجيل الدخول والخروج ونافذة وجدار الحماية" وغيرها.

وتُستعمل مصطلحات المبنى في الإنترنت، كـ "موقع وعنوان وزيارة". ويظهر الإنترنت أيضاً بوصفه طريقاً عبر مصطلح مثل «خريطة الموقع». وتستعمل في وصف الإنترنت مصطلحات الحروب كـ "كلمة المرور وأمن وحرب إلكترونية" وغيرها. ويتخذ الإنترنت هيئة كتاب عبر مصطلحات "صفحة وتصفّح ونشر"، وكذلك الحال بالنسبة للمصطلحات الدالّة على كون الإنترنت بحراً كـ "قرصنة وإبحار"، ولا شك أن استعمال كل هذه المصطلحات في مجال المعلوماتية يتم بشكل مجازي، ومن الملاحظ أن مصطلحات المعلوماتية تنقسم إلى قسمين في أصلها، فبعضها يمثل مصطلحا في مجال أخر نقل إلى مجال المعلوماتية منه، مثل "قرصنة" فهو مصطلح ونقل لمجال المعلوماتية ليصبح مصطلحا أيضا وبنفس المفهوم، وهناك كلمات حياتية عادية لا تمثل مصطلحا لكنها في مجال المعلوماتية تحول استخدامها استخداما مصطلحيا مثل "الفأرة". كما أن النقل يتوازى مع أنواع الاستعارة مثل التجسيد والتشخيص وغير ذلك.

خاتمة:

نخلص مما سبق إلى أن الاستعارة وعلم الدلالة كلاهما وجهين لعملة واحدة، ولا نستطيع دراسة الاستعارة دون التطرق إلى النواحي الدلالية، فالاستعارة هي الوسيلة التي نتوسل من خلالها إلى تطوير المعنى أو توليد معاني جديدة، أو البحث عن تسمية لمفاهيم جديدة ليس لدينا لها مسمسات، ولذلك فإن الاستعارة هي مطيتنا سواءً لفهم المعنى الموجود أو لتسمية هذا المعنى، فالاستعارة هي أهم وسائل بنية المعجم خاصة سك المصطلحات الجديدة؛ فالاستعارة ليست اختلالا معجميا بقدر ما هي لبنة هامة في بناء المعجم، وربما بدونها لانهار هذا البناء.

المراجع

1. C.K. Ogden and I. A. Richards: The Meaning of Meaning – a study of the influence of language upon thought and of the science of symbolism، a harvest book، new York، first published 1923.
2. A. Richards: The Philosophy of Rhetoric، Oxford University press 1936.
3. أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، الطبعة الخامسة، القاهرة 1998.
4. أحمد مطلوب: فنون بلاغية البيان –البديع، دار البحوث العلمية، الطبعة الأولى 1975.
5. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة 1984.
6. السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيقي نعيم زرزور، نشر دار الكتب العلمية، لبنان عام 1987م.
7. بول ريكور: نظرية التأويل –الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية 2006.
8. بيير جيرو: علم الدلالة، ترجمة منذر عياشي، دار طلاس، دمشق 1988م.
9. جان جاك لوسركل: عنف اللغة، ترجمة محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى 2005م.
10. جورج ليكوف: النظرية المعاصرة للاستعارة، ترجمة طارق النعمان، مكتبة الإسكندرية 2014م.
11. جون لاينز: علم الدلالة، ترجمة محمد عبد المجيد ماشطة وآخرين، طبع جامعة البصرة، بغداد، 1987م.
12. سالم شاكر: مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة محمد يحياتن، الجزائر سنة 1992..
13. سعد مصلوح: في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية، عين للدراسات والبحوث الطبعة الأولى 1993.
14. عادل فاخوري: علم الدلالة عند العرب دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، دار الطليعة - بيروت الطبعة الأولى 1994.
15. عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم للطباعة والنشر، 1993.
16. عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986.
17. عبد القادر فهيم الشيباني: معالم السيميائيات العامة أسسها ومفاهيمها، سيدي بلعباس الجزائر، الطبعة الأولى 2008.

18. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، 1991.
19. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، الطبعة الثالثة 1413هـ 1992م.
20. عبد الكريم مجاهد: الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، الأردن، عمان 1985 م.
21. ف. ر. بالمر: علم الدلالة إطار جديد، ترجمة صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1995.
22. مقاتل بن سليمان البلخي: الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، تحقيق حاتم صالح الضامن، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، الطبعة الأولى 2006.